**تفسير الآيات من (29 - 35)، رحمة الله بالمؤمنين**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *أيمن محمد أبو بكر*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***ayman.abobakr@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى رحمة الله بالمؤمنين**

**الكلمات المفتاحية – المؤمنين ، رحمه ، تأكلوا**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة رحمة الله بالمؤمنين**

* **.عنوان المقال**

**الآيات:**

**يقول -عز من قائل-:{ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} [النساء: 29-31].**

**ب. مناسبة الآيات لما قبلها:**

**بعد أن بين المولى  ما يتعلق بالمحرمات من النساء، أراد أن يبين بعض المحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس، فقال:{ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} فهذا هو وجه المناسبة كما ذكرها صاحب (الفتوحات الإلهية) العلامة الجمل.**

**ج. المعني الإجمالي:**

**أما المعنى الإجمالي لهذه الآيات فهو لا يخفَى عليكم، ترون أن الله  ينادي المؤمنين بصفة الإيمان؛ ليبين لهم ولينهاهم عن أكل أموالهم بالباطل بألوانٍ من المعاملات المنحرفة عن دين الله، لكن يبقى التعاملُ اليومي اللحظي الوقتي في ألوان المعاملات التي تكون بين الناس، وهي قائمة على التراضي، وهذا التراضي قد يتبعه خيار الشرط أو خيار المجلس، فما دامت النيات صادقة فهذه المعاملات وما يترتب عليها من مكاسب حلال بفضل الله وتوفيقه.**

**كما أنه ينهاهم عن قتل أنفسهم، وذلك بعدم الوقوع في المعاصي، أو بعدم ارتكاب ما يوجب الحد، فيقع من يرتكب ذلك ويتسبب في قتل نفسه، أو أن تضيق به الحياة فيؤدي هذا إلى أن يتعجل قتل نفسه، فكل هذا تحتمله الآية الكريمة، ويحتمله هذا النهي:{ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} وسبب هذا الذي نهى الله عنه هو رحمة الله بالإنسان{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ}.**

**وترهيبًا من هذا السلوك، وترهيبًا من الوقوع في المخالفة، يأتي قول الله تعالى بأن الذي يفعل هذه الأمور: بأن يأكل أموال الناس بالباطل، أو أن يعتدي على نفسه أو على غيره، فيؤدي هذا إلى أن يقتل، وهو مستحل لهذا، لا يبالي بأوامر الله ونواهيه، فهذا إنسان سوف يكون من أصحاب النار، وسوف يشوى في نار جهنم، وهذا أمر سهل يسير على الله .**

**وفتحًا لباب الأمل يبين الله  أن الذي يجتنب الكبائر، ويبتعد عنها الله  يغفر له ما بدَرَ منه من الصغار، بل ويتفضل عليه فيدخله جنات النعيم، كما قال تعالى:{ﮛ ﮜ ﮝ}.**

**فهذا هو المعنى الإجمالي لهذه الآيات.**

**د. نهي المؤمنين عن أكل الأموال بالباطل:**

**ولنبدأ بهذا النداء:{ﭩ ﭪ ﭫ} فهو نداءٌ لأهل الإيمان يستجيش به الله  كل مكنونات الإيمان به، ويأتي هذا الأمر بعد هذا النداء:{ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} فما المقصد من هذا النهي وما جاء فيه؟**

**المقصد من هذا النهي: أن الله  يريد أن يطهر المعاملات التي تقع بين أهل الإسلام وبين أهل الإيمان من كل ما يثير الضغائن والعداوات والتحاسد والتقاتل، والإحساس بالظلم، فينهَى المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، أي: بالمعاملات التي لم يرد بها دين الله. بل تلك التي ورد النهي عنها، كما نعلم في تحريم الربا والقمار، وما إلى ذلك مما لا يرتضيه هذا الدين.**

**وفي قوله أيضًا:{ﭬ ﭭ} هذا معناه أن الأمر لا يتعلق بمجرد الأكل، وإنما عبر بالأكل هنا - لأن الأكل ما به حياة الناس، وقوام حياتهم، فإذا قامت حياتهم على الباطل وقامت حياتهم على ما يخالف هدي الله، من التعامل بالربا والرشوة والغِش والخداع والسرقة، وما إلى ذلك من ألوان المكاسب التي حرمها الله، فهذا يؤدي إلى جوع الناس وإلى ضياعهم، وإلى هدم الأساس الذي تقوم عليه حياتهم.**

**وحين نزلت هذه الآية قال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام هو أفضل أموالنا، فلا يحل لأحدٍ منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فأنزل الله بعد ذلك قوله عز من قائل:{ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} [النور: 61] إلى آخر الآية الكريمة. وهذا من التزام المسلمين بشرع الله وهديه؛ وبهذا سادوا وكانوا قادة الدنيا بأكملها.**

**قوله تعالى:{ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} التجارة القائمة على التراضي هي التجارة القائمة على شرع الله.**

**ولا بد أن ننبه إلى أنه لا يمكن أن يكون هناك بين الناس هذا التراضي القائم على مخالفة شرع الله، فلو أن جماعة من الناس، أو لو أن رجلًا وآخر تراضيَا على أن يتعاملَا بالربا، هذا يأخذ وهذا يعطي، وكلاهما اتفقَا على الزيادة في هذا المال الذي يأخذه من يأخذه، فهذه معاملة لا تصح ولا يكون فيها التراضي. ولعله لا يخفى علينا أن كثيرًا من الناس يقترضون ما يقترضون من البنوك، ومن غير البنوك، ومن الأفراد، ومن الحكومات، وهم إنما يتراضون ويتواضعون على فائدة معينة بمبلغ معين يزيد أو ينقص، هذا التراضي لا قيمة له. لكن التراضي الذي نراه في الآية الكريمة هو التراضي المبني على شرع الله، وهدي الله، وهدي رسوله .**

**هـ. النهي عن قتل النفس، وجزاء من يفعل ذلك:**

**كيف يكون قتل النفس؟**

**ثم بعد هذا النهي الذي ضبط مسيرة الأمة على طريق التعامل الصحيح، يأتي قوله تعالى:{ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ} [النساء: 29] فكيف يكون قتل النفس؟**

**قتل النفس هنا يحتمل عدة احتمالات لا مانع منها جميعًا:**

**الاحتمال الأول: أن النهي عن قتل النفس:{ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} إنما يكون قتل النفس بارتكاب ما حرم الله، والوقوع في المعاصي. ولا شك أن الذي يرتكب المعاصي، والأمة التي ترتكب المعاصي، وتسير في طريق مخالفة شرع الله وهديه، هذا فرد وتلك أمة تقتل نفسها. ومن الواجب أن يحيا الناس على منهج الله، وعلى كتاب الله، وعلى طاعة الله.**

**الاحتمال الثاني: ويمكن أيضًا أن يكون المقصد بقوله:{ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} يكون هذا القتل بأن يرتكب الإنسان ما يوجب إقامة الحد عليه، فيقتل نفسًا بغير حق، أو أن يرتد عن دين الإسلام، أو أن يكون قد أكرمه الله وأعفّه بالزواج الصحيح، ومع ذلك فهو يرتكب ما يرتكب من فاحشة، فيقام عليه حد الزنا بالرجم. فهذا كان يمكن له لو عقل عن الله ألا يقع في هذه المحظورات؛ حتى لا يقتل نفسه، ولهذا قال ربنا:{ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} أي: بارتكابكم ما يوجب إقامة الحد عليكم.**

**وأيضًا يمكن أن يكون هذا فيمن يتعجل حياته، فيعمد لهم نزل به، أو لغم أحاط به، أو لأمرٍ لم يستطع أن يدفعه عن نفسه يعمد هذا الإنسان إلى نفسه فينتحر، يقتل نفسه. ومثل هذا الإنسان قد ارتكب إثمًا عظيمًا.**

**فهذه من الأمور التي يجب أن يلتفت إليها العقلاء من الناس، وبخاصة أهل الإيمان؛ فالإقدام على المعاصي أو على ما يوجب في الإنسان أن يقتل، لارتكابه ما يوجب القتل، أو أن يتعجل الإنسان حياته لضيق نزل به، فكل هذا لا يجوز ولا يصح، وقد نهى الله عنه فقال:{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ} هذه إذًا رحمة الله  التي فتحت باب الأمل لكل من انحرف عن طريق الله ليفيء إلى الله، ولكل من ضاقت به الحياة؛ حتى يعلم أن فرج الله قريب، وأنه مهما ضاقت الأمور فسوف تنفرج بإذن الله وتوفيقه، وقد قال تعالى:{ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} [الشرح: 5، 6] ولا يغلب عسرٌ يسرين.**

**جزاء قتل النفس:**

**بعد هذا الذي ذكره الله  من فتح باب الأمل، يبدأ في زجر مَن سولت له نفسه أن يفعل هذا الذي نهت عنه الآية الكريمة. فيقول:{ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ} [النساء: 30] فالذي يرتكب هذه المخالفات عدوانًا منه على شرع الله  وظلمًا لهذا الشرع وظلمًا لنفسه، من يفعل ذلك على هذا النحو، وهو مستحل لهذا العدوان، ومستحل لأكل أموال الناس بالباطل، ومستحل للقتل بكل أنواعه. فهذا الذي يفعل ذلك ويقوم به سوف يصليه الله  نارًا.**

**وانظر كيف عبرت الآية الكريمة عن هذا الجزاء السيئ الذي ينتظر من يرتكب هذه المخالفات، يقول ربنا:{ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ}.**

**يأتي قوله:{ﮈ} ليؤكد هذا العذاب الذي سينتظر وسيكون لهؤلاء. وفي قوله:{ﮉ} من عظمة الله ما فيها. وهذا هو الله الإله العظيم القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه أهل المعاصي، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فجميع المخلوقات رهن إشارته.**

**{ ﮉ ﮊ} الصلي: هو أن تأتي باللحم لتضعه على عود من حديدٍ، لتعرضه على النار حتى يشوى. ولعلنا رأينا صورة لشاة توضع وسط الجمر فتشوى، وهذا هو الذي سيكون جزاءً لهذا الإنسان المعتدِي، الذي تجاسر على حدود الله، وارتكب هذه الموبقات:{ﮈ ﮉ ﮊ} أي: سوف ندخله نارًا يشوى فيها كما تشوى الشاة التي نقول بأنها شاة مصلية، أي: مشوية في النار.{ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ} أي: وكان هذا العذاب الذي أعده الله لهذا الإنسان المخالف لشرع الله، كان هذا العذاب يسيرًا على الله  لا يفلت هؤلاء من هذا العذاب بأي حال من الأحوال.**

**و. البشرى لمن يجتنبون الكبائر:**

**معنى الاجتناب:**

**وفتحًا لباب الأمل وتحقيقًا للرجاء، يأتي قول الله تعالى:{ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ} وكأن سائل سأل بعد أن رهبت الآية السابقة ما رهبت، وخوفت ما خوفت، كأن سائل سأل: ثم ماذا يفعل من وقع في هذا البلاء ومن خالف أوامر الله ونواهيه؟**

**ترى في الآية الكريمة التي بين يديك قوله:{ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ}،{ ﮒ} حرف شرط يفيد بأن اجتناب الكبائر لمن وقع في الكبائر أمرٌ مشكوك فيه، فكلمة{إِنْ} إن دخلت على الفعل أفادت التشكيك، وهذا التشكيك معناه أن اجتناب الكبائر من أصحاب الكبائر ليس بالأمر السهل، ولا بالأمر الهين؛ فهؤلاء ما وقعوا في الكبائر إلا بعد أن قطعوا شوطًا طويلًا في ارتكاب الصغائر واستهانوا بها، إلى أن دفع بهم الشيطان اللعين إلى ارتكاب الكبائر، حين ارتكبوا الكبائر ووجدوا فيها حلاوة الشهوة عميت أبصارهم عن الطريق، وارتكسوا في حمأة الرذيلة، وربما استيقظ الواحد من هؤلاء العصاة في لحظة من لحظات صفاء النفس، وأراد أن يتوب وأن يرجع، لكنه ما إن يتقدم خطوة حتى يتقهقر عدة خطوات، وهذا أمر يحتاج إلى عزيمة قوية، وإلى حسن إقبال على طاعة الله، وإلى وضع نظام يستطيع به أن يتخلص هذا الإنسان من كل العوائق التي تحول بينه وبين الرجوع إلى ربه، وقلةٌ قليلة هي التي تنجح في هذه المحاولة، والكثرة الغالبة يشدها ضعفها وعجزها وشهوتها إلى أن تبقى في هذه الكبائر، حتى تفاجأ بأن الحياة بالنسبة لهم قد انتهت، وأنهم أصبحوا معروضين بين يدي الإله العظيم الذي لا تخفى عليه خافية، ليحاسبهم عما كان من أمرهم.**

**ومن هنا جاء قوله:{ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} وهذا التعبير بالاجتناب يختلف عن مجرد الترك، فلم يقل: إن تتركوا كبائر ما تنهون عنه، أو إن تتوبوا من كبائر ما تنهون عنه، وإنما:{ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} والاجتناب يعني: الاعتزال، أي: أن الذي يريد أن ينجو من الكبائر ومن الوقوع فيها لا بد أن يعتزل هذه الكبائر في مكانها، وفي زمانها، وفي أصحابها، وأن يختارَ له صحبة طيبةً يستطيع أن يتأثر بها، وأن يسير على منوالها.**

**ولعلنا نذكر حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، والمقصد من هذه القصة هي أن الذي يريد أن يبتعد عن الكبائر لا بد أن يجتنب الكبائر وأصحاب الكبائر، وما يذكره بها وبهم، وهذا هو الذي يؤديه قوله تعالى:{ﮒ ﮓ}.**

**حد الكبيرة:**

**أما الكبائر، ما هي الكبائر؟ وردت الأحاديث الكثيرة في المراد بهذه الكبائر، وذكر الإمام ابن كثير وغيره من الأئمة كثيرًا من الأحاديث في هذا المقام.**

**من ذلك ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما قالا: «خطَبنا رسول الله  يومًا، فقال: والذي نفسي بيده -ثلاث مرات- ثم أكب، فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري ماذا حلف عليه؟ ثم رفع رأسه وفي وجهه البُشرى، فكان أحب إلينا من حُمْر النَّعم، فقال: ما مِن عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام».**

**وروي أيضًا عن أبي هريرة: أن رسول الله  قال: «الكبائر سبع: أولها الإشراك بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات، والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة. فهذه سبع كبائر».**

**وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة: فمن قائل: هي ما عليه حد في الشرع. ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة، وقيل غير ذلك.**

**يقول الإمام ابن كثير: قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه (الشرح الكبير) الشهير، في كتابه الشهادات منه: ثم اختلف الصحابة } فمن بعدهم في الكبائر، وفي الفرق بينها وبين الصغائر، ولبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه:**

**أحدها: أنها المعصية الموجبة للحد.**

**الثاني: أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة، وهذا أكثر ما يوجد لهم، وإلى الأول أميل، لكن الثاني أوفق؛ لما ذكروه عند تفسير الكبائر.**

**الثالث: قال إمام الحرمين في الإرشاد وغيره: كل كبيرة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة.**

**الرابع: ما ذكره القاضي أبو سعيد الهروي: أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه، وكل معصيةٍ توجب في جنسها حدًّا من قتل أو غيره، وترك كل فريضةٍ مأمورٍ بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين.**

**إلى آخر ما جاء في تعريف الكبائر.**

**جزاء من يجتنبون الكبائر:**

**والله  يقول:{ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ} أي: نغفر لكم ذنوبكم، نغفر لكم ذنوبكم أو نكفر عنكم سيئاتكم، أي: نمحوها تمامًا من ديوانكم، فيأتي العبد يوم القيامة ولا ذنبَ له لذنب تاب منه. كما قال تعالى بعد أن ذكر ما ذكر في سورة "الفرقان" من تعداده لبعض الذنوب، قال تعالى:{ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الفرقان: 70].**

**وما دام الله قد غفر الذنب، وستَرَ العيب، ومحا الخطيئة والسيئة، لم يبقَ إلا أن يكرم هذا الإنسان، وأن يدخله الله مدخلًا كريمًا، أي: مدخلًا فيه كرم الله، وفيه فضل الله. فهذا هو طريق النجاة وهذا هو طريق الفوز.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**